مُقَدِّمَةُ الأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ / فَتْحِي محمَّد جُمُعَة .. حَفِظَهُ اللهُ تعالى

بسم الله والحمد لله وعلى بركة الله، والصلاة والسلام على عبده ورسوله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؛ إمام الشاكرين وخير الحامدين، وأصبر العابدين وأسوة المؤمنين وقدوة الصالحين ﷺ فى الأولين والآخرين، ورضى عن أصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ..

فإن الشكر"معْنىً" جليل من أجلّ معانى الإيمان، وثمرة طيبة من أطيب ثمراته؛ بما أنه"مقام" من أعلى مقامات العبودية؛ ولذلك أُمِر المؤمنون به، ودُعوا إليه، وحُثُّوا عليه فى كثير من آيات الكتاب العزيز، وأحاديث الرسول الكريم ﷺ كقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة١٥٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾ [لقمان١٢-١٤] وقوله صلوات الله وسلامه عليه: " .. أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا[1].

ويضيق المقام هنا عن استقصاء ما جاء فى هذا المعنى الجليل من نصوص وآثار وأخبار؛ ولهذا نكتفى بإشارة موجزة إلى مغزاه ومكانته فى عقيدة المسلمين؟!.

---

(١) البخارى٤٨٣٧، مسلم٢٨٢٠.

إنه قرين للإيمان، ولازم من لوازمه، وعلامة على صدق العبد فى دعواه أنه من المؤمنين، كما أن ضده وهو الجحود أو كفران النعمة آية على أن حقيقة الإيمان بعيدة من الكافر الجاحد، وأن بشاشتها لم تخالط قلبه، و لم تُضِئْ سريرته!.

إن الشكر -بهذا المعنى- أحد المعالم الكبرى فى منهج التربية الإسلامية؛ لأن شكر النعمة لرب العالمين، سوف يأخذ بيد العبد إلى معرفة الفضل لأهله، وشكر الخير لذويه؛ فكأن الإسلام العظيم -بمعنى الشكر الذى تكررت الموعظة به والترغيب فيه- يغرس فى قلب العبد خلق الوفاء وخَلّة العرفان، وهذا ما نراه قويًّا ساطعًا فى "عبادة" البر بالوالدين والإحسان إليهما؟!.

لقد جعل الحق -تبارك وتعالى- شكرهما فى معية شكره- على نحوٍ تقدم الاستشهاد به من سورة لقمان، كما جعل الأمر بالإحسان إليهما قرينًا للأمر بعبادة الله تعالى وتوحيده سبحانه.

ومن جهةٍ أخرى جعل عقوقهما أو الإساءة إليهما بقول أو عمل قرينًا للشرك؛ وهذا ما يشير إليه السياق الكريم فى سورة لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)﴾ [لقمان١٣-١٤] وما يصرح به الحديث الشريف الذى جاء به عدّ الموبقات إذ جعل فى مقدمتها -فى بعض الروايات- الشرك بالله وعقوق الوالدين؛ ومن هذه الأحاديث ما رواه عَبْدُ

الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [١]: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟! قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا؛ حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ».

والتربية التي نتحدث عنها هنا إنما هي فيما هو ثابت معلوم من طبائع الناس وسجاياهم وأعرافهم أنَّ مَنْ يجحد فضل والديه، يسهل عليه بل يَسْتَمْرِئُ أن يجحد فضل من سواهما في الناس أجمعين.

وكذلك الأمر فيما نحن بصدده من حديث! فالذي تضعف لديه عقيدة الشكر أو يتراجع في قلبه معناه ومغزاه، يسقط في مزلق الجحود، وتهوى به ريح الكفران في مكان سحيق.

هذا المعنى العظيم الكريم هو موضوع الكتاب الجديد لابنتنا / أم خالد الأديبة الشاعرة المجتهدة الواعدة الطموح.

ولقد كان جهدها كبيرًا وسعيها بإذن الله مشكورًا؛ فَوُفِّقَتْ في اختيار الموضوع، كما وُفِّقَتْ في اختيار العنوان الذي اقتبسته اقتباسًا مشروعًا من ابن القيم -رحمه الله تعالى- في مدارج السالكين، فكان عنوانها "مدارج الشاكرين" وإن اختلف التناول، وافترقت الخطوات، فكانت مدارجها استعراضًا لأنواع من العمل وألوان من المواقف، ونماذج من الأقوال يتحقق فيها المعنى الصحيح للشكر والشاكرين؛ على حين كانت مدارج ابن القيم خطوات، سمّاها "منازل" على

---

(١) (صحيح): البخاري ٦٢٧٣.

الطريق الموصل إلى رضوان رب العالمين، وكلها يشترك فى تحقيق معانى العبودية الكاملة التى تحملها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [فاتحة الكتاب٥] .

ولا شك أن هذا يستوجب شكر الباحثة الواعدة والثناء عليها فى هذه المثابرة الدءوب، المتواصلة الخطوات والمنوعة الثمرات .. وأن تجد بصدق النية وسلامة الغاية، ما ترجوه عند ربِّها -تبارك وتعالى- من كريم الأجر وحسن الثواب .. اللهم آمين ..

وكتبه

أبو محمد / فتحى بن محمد جمعة

obeikandl.com

مُقَدِّمَةُ فَضِيلَةِ الشَّيخ / عَوَض بَدَوِي فَرحَات .. حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

الحمد لله الذى أنقذنا بنور العلم من ظلمات الجهالة، ونصب لنا من شريعة محمد ﷺ أعلى عَلَمٍ وأوضح دلالة، وكان أفضل ما منَّ به من النعم الجزيلة والمنح الجليلة فنحمده والحمد نعمةٌ منه مستفادةٌ، ونشكره والشكر أول الزيادة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين المبعوث رحمةً للعالمين ﷺ.

وبعد....،

فقد أرسلت إليَّ الأخت أم خالد / أميرة بنت نبيل العماوى مسودة تأليفها "مدارج الشاكرين" فوجدته بعد قراءته كتابًا مفيدًا فى بابه، جامعًا لشتات مسائل الباب، وذكرت فى آخر الكتاب نماذج من الشاكرين مفيدة للقارئ نافعة لمن أراد القدوة فى صالح الأعمال بسلف هذه الأمة التى هى خير أمةٍ أخرجت للناس.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب المؤلفة وكل قارئ وسامع، والله -سبحانه وتعالى- من وراء القصد.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

عوض بن البدوى فرحات

٣ من المحرم ١٤٣٠ هجرية

٣١ من ديسمبر ٢٠٠٨ ميلادية

obeikandl.com

مقدّمة الكتاب

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر١].

الحمد لله واهب النعم، الحمد لله الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، لك الحمد يا ربنا لذاتك، ولك الثناء الجميل على عظيم صفاتك، ولك الشكر كله لعظيم عطاياك وهباتك.

لك الحمد -يا ربنا- على كونك أنت ربنا، ولك الشكر على نعمك التى أوليتنا، سبحانك فى أحسن تقويم خلقتنا، ومن غير حول منا رزقتنا، ومن الظلمات أخرجتنا، وإلى صراطك السوى هديتنا، وفى البر والبحر حملتنا، وعلى سائر مخلوقاتك فضلتنا.

الحمد لله حمدًا طيبًا مباركًا فيه، والشكر لله عدد ذرات الكون وما فيه، وعدد ما خلق وما برأ، ومداد كلماته العظمى التى إن نزلت على الجسد السقيم تعافيه، وإن لامست قلبًا عليلاً بقدرتك تشفيه، لك الشكر يا مولانا من كل عبد مخلص يملأ الشكر قلبه فيلهج بالثناء فيه، ويقوم بين يديك فى الليل قانتًا هاجرًا مضجعه ومجافيه حبًّا وشكرًا للربِّ العظيم، من ليس غير ثنائه على نفسه يكفيه..

وصلاةً وسلامًا على خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد الأولين والآخرين؛ إمام الشاكرين وأسوة الحامدين ونعمة الله الكبرى إلى عباده المؤمنين، صاحب القلب الشاكر والفؤاد الطاهر واللسان الحامد الذاكر، اللهم صلِّ على محمد وآله وصحبه؛ من كان شكرُ الله حياة روحه وقوت قلبه، من كان يعطى عطاء الواثق بما عند ربه، القائم بين يدى مولاه؛ حتى تتفطر قدماه، وقد غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، اللهم أحينا على سنته، واجعلنا ممن يسيرون على دربه، واجعلنا يوم الحشر من زمرته وحزبه..

نسألك يا رحمن يا غفور يا من بيده أمرنا، وبيده البعث والنشور أن تسترنا فوق الأرض وفى ظلمات القبور، وأن ترزقنا تجارة معك لن تبور، وأن تجعلنا يوم القيامة من أهل النضرة والسرور، وأن تحشرنا فى زمرة من قلت فيهم: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر ٣٣- ٣٤] ثم أما بعد..

أقول وبالله التوفيق، ومنه سبحانه العون والسداد:

إنه بعد تجوال لى بين كتب الرقائق الماتعة والتى تحوى بين سطورها الكثير من المعانى التى تفيض عذوبة وحكمة، وتلك الحكمة إنما هى نابعة من عقول سوية ونفوس زكية وقلوب مبصرة، تفوح منها خلاصة التجربة البشرية لأُناسٍ عرفوا ربهم، واستنارت عقولهم بمعرفته، واطمأنت قلوبهم بحبه؛ فأفاض الله عليهم من فيوض كرمه، ورزقهم العلم والفهم والحكمة وغدت أقوالهم حديثًا يتوارثه الأجيال، وباتت مواقفهم وأفعالهم كاللؤلؤ المنثور على صفحات الزمان بعد تلك

الرحلة فى ذلك البحر الصافى ذى الشُّطآن النورانية؛ التى إن رست سفينتك على أيٍّ منها فَثَمَّ الخير والفلاح فى الدارين، شاء الله -عز وجل- أن أركن إلى ذلك المَرْفَإِ الجميل الجليل الذى يصنف على أنه شطر الإيمان ألا وهو (الشكر).

واستخرت الله -سبحانه- وانشرح صدرى للكتابة فى هذا الموضوع لا سيما بعد أن شُغل فكرى لمدة طويلة بنعم الله -عز وجل- التى تغمرنا، ونتقلب فيها ليل نهار، والتى لا يستطيع الثَّقَلاَنِ وإن اجتمعوا أن يحصوا منها نعمة واحدة..

ووجدت أن هناك الكثير من النعم التى لا يدرك العباد قدرها، ولا يُؤدُّونَ شكرها إلا من رحم ربى؛ بل إن هناك أُنَاسًا قد لا يشعرون بتلك النعم على الإطلاق، ولا يعدونها من النعم إلا إذا فقدوها..

وتأملت حال تلك العبادة العظيمة فى دنيا الناس، وكيف أن السواد الأعظم منهم يغفلون عنها رغم كونها أصلاً من أصول العبودية لله -عز وجل- وذلك إنما يكون نتاج جهل أو حجود أو حُبّ دُنيَا، وقد يكون لعلّةٍ فى القلب نسأل الله السلامة.

كما لاحظت فى حدود اطلاعى المتواضع ومعرفتى القاصرة أن موضوع الشكر يأتى فى الغالب ضمن مجموعة من الموضوعات فى كثير من الكتب، ولم يتم تناوله بشكل مستقل إلا فى بضع كتب قد لا يعرفها إلا طلبة العلم

وهذا الكتاب الذى بين أيديكم لا أدَّعِي أنَّنِى جئت فيه بأمر غير مسبوق؛ فأنا أقل من ذلك بكثير، ولكننى حين أقدمت على كتابته، فكان ذلك من باب الذكرى؛ لعلنا ننتفع معاً مصداقًا لقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات٥٥] فأردت أن نتلمس معاً سبيل الوصول إلى ذلك المقام السامى (مقام الشكر) وأن نتذاكر نعم الله علينا، ونتأمل أحوال الشاكرين وأقوالهم؛ لعل أحدنا يجد ضالته فى قوله أو فعل أحدهم، ففى قصص السابقين عبرة لأولى الألباب كما ورد فى كتاب الله عز وجل.

وبعد أن ملك ذلك الأمر عَلَيَّ قلبى وفكرى وباتت معانيه ومفرداته تموج بخاطرى سألت الله -عز وجل- أن يوفقنى لصياغته بشكل مناسب؛ لا سيما أننى لم يقدر الله لى أن أدرس فى مجال الأدب واللغة والمناهج العلمية للكتابة، فأنا لست كاتبة محترفة؛ ولكننى أمسك بالقلم حينما يلح عليَّ أمر ما، وأكتب ما يفتح الله به على وما أحسه وأستخلصه من بطون الكتب وحسب..

وهدانى الله -سبحانه وتعالى- لأن يكون القرآن الكريم هو المنهج والدليل، فهو الكتاب المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا بد من أن يكون لكل أمر من أمور الدنيا والآخرة نصيب فى آياته البينات، وبحثت بين دفتيه عن الآيات ذات الصلة بالبحث، سواء ما ورد فيها الشكر لفظًا أو معنىً ودونتها.

ومن خلال ذلك حددت النقاط التى سوف أتناولها، فكل آية أو مجموعة من الآيات شكلت فصلاً أو عنوانًا فى هذا الكتاب.

وتحت هذه النقاط أوردتُ بعض الأحاديث النبوية الشريفة ذات الصلة بالفصل، وكذلك استشهدت ببعض أقوال أهل العلم وأهل الفضل والحكمة من سلف الأمة الصالح، وسمحت لنفسي أن أعلق على بعض تلك الأقوال والروايات، وأن أقوم بشرح وتبسيط لبعضها مما قد يتعذر على البعض فهمه.

وفى بعض الأحيان كنت أحاول أن أستخلص بعض المعانى من بين السطور، فهؤلاء العلماء والصالحون وأهل الفضل من سلفنا الصالح ينبغى ألا نَمُرَّ بأقوالهم وأفعالهم هكذا مرور الكرام؛ لأن كل كلمة أو فعل لهم قد جاء نتاج تجربة إيمانية عالية وخبرات أورثتهم بلاغة وحكمة؛ حتى خرجت كلماتهم كحبات الدر الثمين، ومن أراد الدُّرَّ فلن يجده طافيًا على السَّطح؛ ولكن لا بد له من البحث عنه فى أحشاء البحر؛ حتى يفوز به.

ولقد جعلت ما هو منقول بنصِّه من أحاديث نبوية أو أقوال أهل العلم بين قوسين [ ]، وماكان خارج القوسين فهو اجتهاد شخصي لى غنمه وعلى غرمه.

وأدعو الله -عز وجل- أن يغفر لى تقصيرى، فهذه بضاعتى وإن قَلَّتْ، والله أسأَلُ أن يتقبل منى، وأن يرزقنى الإخلاص فى القول والعمل، وأن يجزى خيرًا كل من أعاننى على ذلك العمل، وأن يجعل ذلك فى ميزان حسناتنا، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، ذلك ..

وما كان من توفيق فمن الله وحده لا شريك له؛ وما كان من خَطَإٍ فمنى ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ* وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات ١٨٠-١٨٢].

وكَتَبَتْهُ

أُمّ خَالِد/ أَمِيرَة نَبِيل العَمَاوِيّ